بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، الملك العلي الأعلى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى.

أحمده تعالى وأشكره، وأستعينه وأستهديه وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو بها النجاة من أهوال يوم القيامة، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الهادي البشير، والسراج المنير، أرسله الله إلى الناس كافة؛ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وترك الناس على النهج القويم، والصراط المستقيم على أبيض محجة، وأنصع رسالة، وأقوم سبيل، فصلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فلقد كان العرب في شبه الجزيرة العربية يتكلمون العربية بفطرتهم وسلائقهم ، ذلك لأنهم كانوا قليلي الاتصال بجيرانهم ، فلما أشرق فجر الإسلام ، وعم على نوره العالمين أصبحت شبه الجزيرة العربية مرتاداً للمسلمين من كل أنحاء العالم ، ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم:٣٧] فاختلط العرب بغيرهم من الوافدين الذين دخلوا في دين الله أفواجاً .. الأمر الذي أدى إلى انتشار اللغة العربية في كثير من البلدان ، وأدى إلى تسرب اللحن في تلك اللغة ، وقد حمل ذلك العلماء على وضع قواعد لحفظها ، وصونها من الفساد ، وقد بذلوا في سبيل ذلك جهودًا مضنية لأنها اللغة التي شرفها الله تعالى بنزول القرآن الكريم فأعلى شأنها وعزز مكانتها .

وقد كان العلماء الأوائل يعدون الاشتغال باللغة ضربًا من العبادة الدينية ، يتقربون بها إلى الله طمعًا في مغفرته ورضاه .

وكان أن وضع أبو الأسود الدؤلي المتوفي سنة (٦٧هـ) اللبنة الأولى في صرح علم النحو ، ثم تتابعت جهود العلماء المخلصين من بعده ، كنصر ابن عاصم الليثي المتوفي سنة (٨٩هـ) وابن إسحاق الحضرمي المتوفي سنة (١١٧هـ) ويحيى بن يعمر المتوفي سنة (١٢٩هـ) فتوسعوا وزادوا على ما أسسه أبو الأسود ، ثم جاء عيسى بن عمر المتوفي سنة (١٤٩هـ) فجمع المسائل المتفرقة في كتابين لم يصلا إلينا ، وهما الإكمال والجامع ، ثم جاء الخليل بن أحمد المتوفي سنة (١٧٥هـ) شيخ البصريين وعميدهم فكان له الفضل الأوفى في إرساء دعائم هذا العلم ، وإعلاء بنيانه ، فقد عكف على وضع هذا العلم يستعرض الجزئيات المختلفة ليستخلص منها قواعد عامة وقد بذل في سبيل ذلك جهداً عظيماً ، فبسط هذا العلم وأوضح علله وبين أسراره وقد تكفل تلميذه النابه سيبويه بتسجيل أفكار أستاذه في مؤلف كبير عرف بـ(الكتاب) ذلك السفر الذي طار صيته في الآفاق ، وعمت شهرته الأرجاء ، فقد سجل فيه علم الخليل ابن أحمد ، وضم إلى علم أستاذه علم علماء آخرين كيونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وقد حاز كتابه ثقة العلماء ، وقد أولوه بالشرح والإيضاح ، وأصبح لفظ الكتاب علماً عليه كما سمي البحر إعظامًا له وتقديرًا لمكانته العلمية ، وكل من ألف بعده فقد عول عليه ونهل منه فكان الأساس والمرتكز للأجيال المتعاقبة .

ثم تتابعت الجهود المخلصة حفاظًا على لغة القرآن الكريم ، وقد برز في كل قرن علماء أفذاذ كالمبرد وأبي علي الفارسي وابن جني والزمخشري وابن الحاجب وابن مالك وابن حيان وابن هاشم والسيوطي وغيرهم ، وكل هؤلاء العلماء الذين بذلوا جهوداً واضحة العيان ، وقد تمثلت في آثارهم العلمية التي بين أيدينا ما بين مطبوع ومخطوط والتي تعد كنزًا غاليًا للأجيال من بعدهم.

ومن أهم كتب النحو "الكافية" لابن الحاجب وهي مقدمة وجيزة في النحو، لكنها أحاطت بمسائل النحو بطريقة رائعة ومنظمة، اختصر بها ابن الحاجب "مفصل" الزمخشري، وقد طبقت شهرتها الآفاق، فاهتم بها العلماء والدارسون اهتمامًا كبيرًا، تمثل في العدد الكبير من الشروح والحواشي والمنظومات التي دارت حولها، ومن أهم الشروح التي نُسجت على الكافية شرح ابن النحوية، وهو شرح بديع جمع فيها ابن النحوية أهم المسائل التي تعرض لها ابن الحاجب فعلق عليها بالشرح والتحليل.

obeikandl.com

وقد وفقنا الله بالعثور على نسخة لهذا الكتاب الرائع، وقد حاولنا جاهدين إخراجه في أزهى ثوب، وأبهى صورة، ونسأل الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله وسلم على سيّد البلغاء من الناس مُحمّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

obeikandl.com

الإمام ابن الحاجب
مؤلف الكافية

يحقُّ للأمم أن تفخر بعظمائها وأذكيائها، وأن تردِّدَ سيرهم وتراجمهم، ولاسيما من كان له دورٌ مبرِّزٌ في الدفاع عن عقيدتها، وعن عزتها وكرامتها، وفي الإنكار على روح التقاعس والانهزام أمام الاعداء.

ومن هؤلاء الأعلام الذين كان لهم هذا الشرف العلامة ابن الحاجب الذي يعدُّ بحقٍّ عالِمَ عصره، ومن قادته العظماء الذين كان لهم في أحداث عصرهم مواقفُ شامخةُ سجّلها لهم التاريخ بأحرف من نور، ومن أذكيائه الفضلاء الذين أثروا بإنتاجهم العلمي العلم والمعرفة أيما إثراء.

وفي حديثنا عن هذا العلَمِ نقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث: نتحدّث في الأول عن عصره، وفي الثاني عن سيرته الذاتية، وفي الثالث عن سيرته العلمية.

(المبحث الأول): عصر ابن الحاجب:

تمهيد:

عاش ابن الحاجب في الثلث الأخير من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجري. ومن المعلوم أنّ هذه الحقبة الزمنية كانت جزءاً من دور الضعف والانهيار الذي مُنِيَتْ به الخلافةُ العباسية بوجهٍ خاصٍ والبلادُ الإسلامية بوجهٍ عام، ولقد تجلّت مظاهر هذا الضّعف في أمورٍ ثلاثة:

١ ـ تعدّد الدّول والملوك.

٢ ـ التعرّض للهجمات الصّليبية الحاقدة من الغرب.

٣ ـ التّعرض للاجتياح المغولي الهمجي من الشرق.

وممّا لاشك فيه أنّ الإنسان ـ أياً كان ـ يتأثّر بالبيئة التي يعيش فيها ويتفاعل معها؛ بحيث تنعكس آثارها على شخصيته سلباً أو إيجاباً، وذلك من مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية. وسوف نركز في دراستنا لهذا العصر على الناحية السياسية والعلمية فقط، ولعلّ في ذلك ما يكفي لإعطاء صورةٍ واضحةٍ عن أهم المؤثرات في شخصية ابن الحاجب.

obeikandl.com

أولاً: عصره من الناحية السياسية:

أنهى صلاح الدين الأيوبي حكم الفاطميين في مصر لمّا مات العاضد آخر خليفة لهم في العاشر من المحرّم سنة (٥٦٧هـ) ثم بدأ في إصلاحاته السياسية والعلمية والاجتماعية والعسكرية.

ففي عام (٥٧٠هـ) أحكم سيطرته على الدّيار المصرية بعد أن قضى على الفتن التي أشعلها جماعة من السودان والأعراب بصعيد مصر في مدينة طَوْد بزعامة رجلٍ يدعى الكنز، ثمّ اتجه بعد ذلك إلى دمشق وانتزعها من أيدي الزنكيين، وأصبح سيد الموقف في مصر والشام.

كما استطاع أن يقهر الصّليبين، فاستردّ منهم بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ) وتابع تحرير فلسطين والساحل السوري حتى توفّاه الله تعالى سنة (٥٩٨هـ) والحرب ما تزال بينه وبينهم مستمرة.

وبعد وفاته ـ رحمه الله ـ وقعت العداوة والفرقة بين حكام الإمارات والمدن من أبنائه وإخوته، وتآمر بعضهم على بعضٍ وتحاربوا. فهذا الملك الكامل في مصر يعطي ملك الفرنج فردريك القدس صلحاً سنة (٦٢٦هـ) ليحاربَ ابنَ أخيه الناصر داود بن المعظم صاحب الكَرَك. وكذلك كان في شأن الملك الصالح إسماعيل بن العادل حاكم دمشق حين اعتضد بالفرنج وسلّمهم الشقيف وصيدا وغير ذلك من حصون المسلمين لينصروه على ابن أخيه الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر، وكان قد بلغ به الخوف منه مبلغاً "منعه المنام والطعام والشراب"!! وعندئذ هبَّ في وجهه سلطان العلماء العز بن عبد السلام والعلامة ابن الحاجب، وأنكرا عليه صلحه مع الصليبيين وتقاعسه عن قتالهم، فأمر بحبسهما ثم أطلقهما بعد مدّة وأمرهما أن يخرجا من بلده، فخرجا إلى القاهرة سنة (٦٣٨هـ). وقد سجّل التاريخ لهما هذا الموقف بأحرف من نور دون بقية رجالات دمشق وعلمائها الذين خنعوا للصالح إسماعيل.

وكان لهذه الصراعات والنزاعات أثر سيئ على البلاد فانتشرت الأوبئة والمجاعات، ولازالت الدولة الأيوبية تزداد ضعفاً إلى أن سقطت سنة (٦٤٨هـ) وقامت على أنقاضها دولة المماليك البحرية.

ثانياً: عصره من الناحية العلمية:

شهدت بلاد الشام ومصر في العصر الأيوبي نهضة علمية كبيرة، فأقبل كثير من الأمراء على العلم، كما حظي العلماء بتشجيع الحكام وتأييدهم. وكان من مظاهر ذلك الاهتمامُ بإنشاء المدارس التي تعتبر بمثابة جامعات كبيرة مهمتها تدريس العلوم الإسلامية المختلفة. ومن أهم هذه المدارس: الناصرية والكاملية والصالحية في مصر، والصلاحية في دمشق.

ويمكن تشبيه هذا العصر من الناحية العلمية بعصر المأمون من حيث النشاط ووفرة الإنتاج العلمي. يقول ولـ ديورانت متحدّثاً عن تلك الحقبة: "وجرى الحكام المسلمون جميعهم بل صغار الملوك أنفسهم على سنة الخلفاء العباسيين في مناصرة الآداب والفنون.. وإنْ كانت الفلسفة قد اضمحلت لتشدّدهم في الدِّين، فقد طارد السلاجقة وصلاح الدين كلَّ خارجٍ على السنة من المسلمين... وقصارى القول: إنّ هذا العصر كان عصر اضمحلالٍ متلألئ ساطع".

ويعود سبب هذا النشاط الثقافي الواسع إلى هجرة العلماء من الشرق والغرب إلى مصر وبلاد الشام، وذلك لأنّ الدولة الأيوبية كانت سنية العقيدة، وكان من أهم أهدافها القضاء على العقيدة الفاطمية التي نادى بها الخلفاء الفاطميون في مصر. ومن أجل تحقيق هذه الغاية قامت بإنشاء المدارس واستقدمت العلماء والفقهاء من أهل السنة كي يقوموا بمهمة التدريس بها، وهيأت لهم البيئة الصالحة وجرى مدّهم بالمعونات والمساعدات.

وترتّب على ذلك أن أصبحت القاهرة بشكل خاص ـ وهي التي نشأ بها ابن الحاجب ـ تموج بعددٍ كبير من العلماء والفقهاء. ولذا يمكننا أن نقول: إنه قد توفر لابن الحاجب بيئة ثقافية خصبة ساعدت على تهيئته للنبوغ والشهرة.

ونشير أخيراً إلى أنّ الفتن المذهبية كانت قائمة في الداخل، وأنّ الصّراع بين الباطنية وأهل السنة والجماعة كان على أشدِّه. كما كان الخلاف محتدماً بين الحشوية من الحنابلة وجمهور المسلمين، مما أدّى إلى حصول الفتنة، وتدخل الحكام في هذا الصراع. ولإبراز دور ابن الحاجب الهام في إعادة الحق إلى نصابه أنقل ما أورده السبكي في ترجمة سلطان العلماء العز بن عبد السلام باختصار وتصرّف يسير. قال: إن

طائفة من مبتدعة الحنابلة قد صحبهم الأشرف في صغره يكرهون الشيخ عز الدين ويطعنون فيه، فقرروا في ذهن الأشرف أن الشيخ أشعري العقيدة يخطّئ من يعتقد الحرف والصوت ويبدِّعه.

فكتبوا فتيا في مسألة الكلام وأوصلوها إليه مريدين أن يكتب عليها بذلك، فيسقط موضعه عند الأشرف. فلما وصلت الفتيا إلى الأشرف استشاط غضباً وقال: صحّ عندي ما قالوه عنه. وكان ذلك في رمضان وعنده على سماطه عامة الفقهاء من جميع الأقطار، فلم يستطع أحدٌ منهم أن يردّ عليه. وأقام الحق سبحانه وتعالى الشيخ العلامة جمال الدين أبا عمرو بن الحاجب المالكي، وكان عالم مذهبه في زمانه، وقد جمع بين العلم والعمل في هذه القضية فمضى إلى القضاة والعلماء والأعيان الذين حضروا هذه القضية، وشدَّد عليهم النكير وقال: العجب أنكم كلكم على الحق وغيركم على الباطل وما فيكم مَنْ نطق بالحق وسكتم، وما انتخيتم لله تعالى وللشريعة المطهرة: "ولم يزل يوبخهم ويعنفهم إلى أن اصطلح معهم على أن يكتب فتيا بصورة الحال، ويكتبوا فيها بموافقة ابن عبد السلام، فوافقوه على ذلك وأخذ خطوطهم بموافقته.

والتمس ابن عبد السلام من الأشرف أن يعقد مجلساً للشافعية والحنابلة ويحضره المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين، وذكر له أنه أخذ خطوط الفقهاء الذين كانوا بمجلس السلطان لما قرئت عليه الفتوى بموافقتهم له، وأنهم لم يمكنهم الكلام بحضرته في ذلك الوقت لغضبه.

فلما وصل هذا إلى الأشرف أجاب الشيخ عز الدين بجواب شديد مضمونه: منع عقد المجلس للمناظرة.

فأجابه الشيخ عز الدين عن كتابه بجواب سديد كانت نتيجته: أن الأشرف منع الشيخ عز الدين من الفتوى ومن الاجتماع بأحد وأمره بلزوم بيته، وبقي الشيخ على هذه الحالة ثلاثة أيامٍ.

ثم التقى الشيخ العلامة جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية في زمانه بالملك الأشرف، فقال له الشيخ: أَيْش بينك وبين ابن عبد السلام؟ وهذا رجلٌ لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا لكان للسلطان أن يسعى في حلوله في بلاده لتتم بركته عليه وعلى بلاده ويفخر به على سائر الملوك. قال السلطان: عندي خطُّه باعتقاده في فتيا، وخطُّه

أيضاً في رقعةِ جوابِ رقعةٍ سيّرتها إليه فيقف الشيخ عليهما، ويكون الحكم بيني وبينه. ثم أحضر الورقتين، فقرأهما الحصيري وقال: هذا اعتقاد المسلمين، وشعار الصالحين، ويقين المؤمنين، وكل ما فيهما صحيح... فقال الأشرف: نحن نستغفر الله تعالى مما جرى ونستدرك الفارط في حقّه، واسترضاه وطلب محاللته ومخاللته.

وبهذا الجهد الطيب من الصديق المخلص لسلطان العلماء العلامة ابن الحاجب عاد الحق إلى نصابه، وعرف الأشرف مكانة العز وقدره.

(المبحث الثاني): سيرته الذاتية:

أولا : اسمه ولقبه ونسبه:

هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، المعروف بابن الحاجب ، الكردي ، الدَّوِيني الأصل ، ثم المصري ، الإسنائي المولد ، الملقّب جمال الدين .

أمَّا شهرته بابن الحاجب ، فذلك لأنّ أباه كان حاجبًا للأمير عز الدين موسك الصلاحي .

وأمَّأ الكردي فهي نسبة إلى الأكراد ، الذين كانوا ، ولا يزالون ، يسكنون أقاليم شمال العراق .

والدَّوِيني نسبة إلى دَوِين ، وهي بلدة من نواحي أرَّان في آخر حدود أذربيجان ، بقرب من تفليس ، ومنها بنو أيوب ، الذين منهم صلاح الدين الأيوبي .

أمَّأ المصري فهي نسبة إلى البلد الذي تنسم فيه أول أنسام الحياة ، وفيها نشأ، وبها دُفِن .

والإسنائي نسبة إلى البلدة التي وُلِد فيها .

ثانيا : مولده زمانًا ومكانًا :

وُلد سنة سبعين أو إحدى وسبعين وخمسمائة من الهجرة ، في أَسْنَا ، وهي بليدة صغيرة من الأعمال القوصية في صعيد مصر الأعلى .

ثالثا : أسرته :

كان والده جنديًّا ينحدر من أُسرة كردية ، كانت تسكن في الجهة الشمالية الشرقية من العراق ، في بلدة دَوِين ، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ثم انتقلت أسرته مع الأيوبيين إلى بلاد الشام ، ثم انتقلت معهم إلى مصر

رابعا : نشأته وتنقلاته :

قدم به أبوه إلى القاهرة ، فبدأ الاشتغال بالعلم في صغره ، فحفظ القرآن ، ودرس العلوم المتصلة به ، كالفقه وأصوله ، على مذهب الإمام مالك، كما درس النحو والأدب والقراءات ، فبرع في علومه ، وأتقنها غاية الإتقان ، فبعد أن استوطن مصر، استوطن الشام، ودرس بجامعها ، في الزاوية النورية المالكية ، ثم رجع إلى مصر مع العز بن عبد السلام ، فاستوطنها سنة ٦٣٨هـ، وذلك بعد أن أخرجهما والي دمشق ؛ لإنكارهما عليه أمورًا قام بها، وتصدر بالمدرسة الفاضلية ، بالموضع الذي كان يُدرِّس فيه الشاطبي .

وقد اتّضح من أماليه أنه قام بجولة إلى القدس وغزة ، ودمشق والكرك ، كان يملي على طلابه خلالها في كل مكان يحل فيه ، ثم توجه إلى الإسكندرية ؛ ليقيم بها ، فلم تطل مدته هناك .

خامسا : صفاته وأخلاقه :

كان الشيخ فقيهًا ، فاضلا ، مفتيًا ، مناظرًا ، مبرزًا في عدة علوم، مُتبحرًا فيها ، مع ثقة ودين وورع وتواضع واحتمال دون تكلف، وكان من أذكياء زمانه ، ضرب به المثل في حِدَّة الذِّهن ، وحسن التصور ، وكان علامة وقته ، ورئيس أقرانه ، استخرج ما كَمُنَ من درر الفهم ، ومزج نحو الألفاظ بنحو المعاني، وأسس قواعد تلك المباني ، وتفقه حتى ساد أهل عصره ، وكان من أنجم الهداية.

وقد نهل الفضلاء من علمه الزاخر ، وهو في كل ذلك على حال عدالة ، وفي منصب جلالة .

سادسا : وفاته :

توفي الشيخ في السادس والعشرين من شوال ، سنة ست وأربعين وستمائة بالإسكندرية ، ضحوة النهار ، ودفن من يومه خارج باب البحر ، بمقبرة الشيخ الصالح بن أبي شامة ، وموضع ضريحه في الطابق السفلي من مسجد أبي العباس المرسي .

ولما مات رثاه الفقيه أبو العباس ناصر الدين أحمد بن المنير ، وكتبت على قبره هذه الأبيات:

ألا أيُّها المختالُ في مطرفِ العُمْرِ هلُـمَّ إلـى قبـرِ الفَقيـهِ أبـي عمـرو

تَرى العِلمَ والآدابَ والفضلَ والتُّقَى ونيل المُنى والعِزَّ غُيِّبن في قبرِ
وتُوقِن أنْ لا بُدَّ تَرجعُ مَرَّةً إلى صدفِ الأجداثِ مكنونةَ الدُّرِ
فتدْعو لهُ الرحمنَ دَعوةَ رحمةٍ يُكافئ بِها في مِثلِ منزلهِ القفرِ

(المبحث الثالث): سيرته العلمية :

أولا : شيوخه :

ـ الإمام الشاطبي : أبو محمد قاسم بن فِيرُّه بن أبي القاسم خلف الرعيني (٥٣٨ – ٥٩٠هـ) ، تأدب عليه ، وقرأ عليه القرآن ببعض الروايات ، وسمع منه التيسير والشاطبية.

ـ أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الحنفي (٥٢٢-٥٩٩هـ). قرأ عليه جميع القراءات.

ـ أبو الجود غياث بن فارس بن مكي بن عبد الله اللخمي (٥١٨-٦٠٥هـ) ، قرأ عليه بالسَّبْع.

ـ أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود البوصيري (٥٠٦-٥٩٨هـ) ، سمع منه الحديث ، وأخذه عنه.

ـ أبو منصور شمس الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن علي الصنهاجي الأَبياري (٥٥٧-٦١٨هـ) ، وقد تفقه عليه.

ـ أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى البرمكي (٥٨٣-٦٣٧هـ).

ـ أبو حامد محمد بن علي بن محمود كمال الدين بن الصابوني (ت: ٦٨٠هـ).

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حامد الأرتاحي (ت:٦٠١هـ) ، سمع منه الحديث ، وهو آخر من حدَّث بالشام.

ـ الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن عساكر (٥٢٧-٦٠٠هـ)، سمع منه الحديث بدمشق.

ـ الإمام أبو الحسن الشاذلي (٥٧١-٦٥٦هـ) ، إمام الطريقة الشاذلية، قرأ عليه كتاب الشفا ، للقاضي عياض.

ـ إسماعيل بن ياسين، سمع منه الحديث.

ـ حماد الحراني، سمع منه الحديث.

ـ فاطمة بنت سعد الخير، سمع منها الحديث.

obeikandl.com

ـ أحمد بن الحسن أبو غالب المعروف بابن البنا، وقد تأدب عليه.

ـ أبو الحسن بن جبير، أخذ عنه الفقه والأصول.

ثانيا : تلاميذه :

ـ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري (توفي ٦٥٦هـ) ، وقد روى عنه الحديث.

ـ الإمام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسين بن شرف الدمياطي (٦١٣-٧٠٥هـ) ، روى عنه الحديث.

ـ شرف الدين عبد الله بن محمد بن علي الفهري ، المعروف بابن التلمساني، (توفي ٦٤٤هـ).

ـ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني (توفي ٦٥١هـ) ، أخذ عنه النحو.

ـ الملك الناصر داود بن عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، وكان سلطان دمشق بعد أبيه نحوًا من سنة (توفي ٦٥٦هـ). وقرأ عليه النحو.

ـ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ، أبو شامة المقدسي، (توفي ٦٦٥هـ).

ـ الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، صاحب الألفية. يقول الخضري في حاشيته على ابن عقيل : ونقل التبريزي في أواخر شرح الحاجبية أنه ، أي ابن مالك ، جلس في حلقة ابن الحاجب واستفاد منه، قال الدماميني: لم أقف عليه لغيره ولا أدري من أين أخذه.

ـ الإمام الحافظ منصور بن سليم بن منصور الإسكندراني الشافعي (٦٠٧-٦٣٧هـ) ، وقد روى عنه الحديث.

ـ العلامة زين الدين عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس، قاضي قضاة المالكية بدمشق ، (توفي ٦٨١هـ).

ـ الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور ، المعروف بابن المنَيِّر (توفي ٦٨٣هـ) تفقه به وأجازه بالإفتاء ، وكان ابن الحاجب معجبًا به أشد الإعجاب ؛ لفرط ذكائه وكثرة بحثه.

ـ الإمام المحقق أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله القرافي، صاحب التآليف البديعة ، (ت: ٦٨٤هـ).

ـ الشيخ أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم، الإمام العلامة رضي الدين القسنطيني ، الشافعي ، النحوي ، (٦٠٧-٦٩٥هـ). أخذ عنه العربية وشرح الكافية التي لشيخه.

ـ الإمام المحدث زين الدين علي بن محمد بن المنير ، قاضي القضاة شارح صحيح البخاري ، (توفي ٦٩٥هـ).

ـ موفق الدين محمد بن أبي العلاء بن علي النصيبي البعلبكي ، (توفي ٦٩٥هـ). أخذ عنه القراءات.

ـ الإمام ناصر الدين أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي، (٦٣١-٧٣١هـ).

ـ أبو علي الحسن بن الجلال، روى عنه الحديث.

ـ أبو الفضل الإربلي الذهبي.

ـ جمال الدين أبو إسحاق الفاضلي.

ـ الشيخة أم محمد وجيهة بنت علي بن يحيى بن سلطان السكندرية.

وروى عنه طائفة بالإجازة منهم:

ـ العماد بن البالسي.

ـ عبد العزيز بن إبراهيم بن يَنَّة الهواري ، ولد سنة (٦١٧هـ).

ـ أبو الحسن بن البقال.

ـ ياقوت الحموي.

ثالثا : علومه ومعارفه :

كان ابن الحاجب رأسًا في علوم كثيرة منها : الأصول ، والفروع ، والعروض ، والتفسير، وكان الغالب عليه عم العربية ، فبرع في النحو والتصريف ، وقد خالف النحاة في مسائل دقيقة، وأورد عليهم إشكالات، وإلزامات مفحمة ، تعز الإجابة عنها.

وكان الشيخ ذا قدرة عجيبة على الاختصار ، حتى إنه كان يضن بالفاء أو الواو إذا كانت زائدة ، يتم المعنى بدونها ، وقد يختصر الخطبة التي تكون أول التصنيف ، بل قد

يكتفي بالبسملة ، ويشرع في ذكر ذلك العلم الذي قصده، وله القدرة على إدراج المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة.

رابعا : مذهبه الفقهي :

كان ابن الحاجب فقيها مالكيا ، له مصنفات في أصول الفقه ، وقد ألف مصنفا مختصرا في مذهبه ، فأصبح من أبرز فقهاء زمانه ، حتى قيل فيه : إنه شيخ المالكية في عصره ، وكان هو وابن مالك على طرفي نقيض ، خالفا العادة ؛ لأن ابن مالك مغربي شافعي ، وابن الحاجب كردي مالكي ، ومن هنا غلِط بعض الشراح للمقدمة ، فجعله مغربيًا لما سمع بأنه مالكي .

لقد كان ابن الحاجب أول فقيه جمع بين عقائد المالكية في مصر ، وعقائد المالكية في المغرب .

خامسا : ثناء العلماء عليه :

قال الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد: هذا الرجل تيسرت له البلاغة ، فتفيأ ظلها الظليل ، وتفجرت ينابيع الحكمة ، فكان خاطره ببطن المسيل، وقرب المرمى ، فخفف الحمل الثقيل.

وقال القاضي ابن خلكان: كان من أحسن خلق الله ذهنًا ، وجاءني مرارًا بسبب أداء شهادات ، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة ، فأجاب عنها أبلغ إجابة ، بسكون كثير وتثبت تام.

وذكره العلامة ابن أبي شامة فقال: كان من أذكى الأمة قريحة، ركنًا من أركان الدين في العلم والعمل، بارعًا في العلوم الأصولية، وتحقيق علم العربية ، متقنًا لمذهب مالك ، وكان ثقة ، حجة ، متواضعًا ، عفيفًا ، كثير الحياء ، منصفًا ، محبًا للعلم وأهله ، ناشرًا له، صبورًا على البلوى، محتملا للأذى.

سادسا : آثاره العلمية :

صنف ابن الحاجب تصنيفات مفيدة ، ومصنفاته فيها حسن صناعة ، وجودة تصنيف ، تدل على تمكنه وحذقه وذكائه ، وقد رُزقت القبول، وطارت في الآفاق ، وسارت بها الركبان ،

١. كتاب الجامع بين الأمهات في الفقه: وقد بالغ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في مدح هذا الكتاب ، وكان مما قال فيه: هذا كتاب أتى بعجب العجاب، وكان الشيخ كمال الدين الزملكاني يقول: ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية ، وكفى بهذه الشهادة فخرًا. وقد اعتنى العلماء شرقًا وغربًا بشرح هذا الكتاب وتدريسه.

٢. كافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب: المعروفة بالكافية ، وهي مقدمة وجيزة في النحو. وكان أبو حيان يقول عنها: هذه نحو الفقهاء، وقد انتشرت انتشارًا فاق الحدود ، حتى إن مخطوطاتها في كل مكتبة من مكتبات العالم تقريبًا، وقد بلغت شروحها (٦٧) شرحًا ، وثلاثة مختصرات وخمس منظومات، وقد طبعت طبعات عديدة.

٣. الشافية في علم التصريف.

٤. شرح المقدمتين شرحًا مختصرًا، وقد طبع هذا الشرح باستانبول ثم تكرر طبعه.

٥. منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل: وهو في أصول الفقه.

٦. مختصر منتهى السول والأمل: وقد اعتنى العلماء بهذا المختصر ، فصار كتاب الناس شرقًا وغربًا ، واشتغل العلماء به. وشرحه كثرة كاثرة من العلماء والفضلاء.

٧. الأمالي: وهو في غاية الإفادة اشتمل على فوائد عربية غريبة ، ونكات وقواعد وغير ذلك.

٨. الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري: وقد قمنا بتحقيقه بفضل الله تعالى.

٩. نظم الكافية وسماه: الوافية في نظم الكافية.

١٠. شرح الوافية نظم الكافية: طبع بتحقيق الدكتور موسى بناي العليلي بالعراق سنة ١٩٨١م.

١١. شرح المقدمة الجزولية.

١٢. المقصد الجليل في علم الخليل: وهو نظم في العروض على وزن الشاطبية، تقع في (١٧١) بيتًا، وشرحها الإمام الإسنوي.

١٣. رسالة في العشر: وهي رسالة صغيرة في استعمال كلمة (عشر) في أول الكلام وآخره.

١٤. القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة.

١٥. كتاب في علم الكلام. وقد كتب عليه ثلاثة شروح.
١٦. إعراب بعض آيات القرآن الكريم .
١٧. إلى ابنه المفضل .
١٨. شرح كتاب سيبويه .
١٩. المسائل الدمشقية .
٢٠. المكتفي للمبتدي . شرح لإيضاح أبي علي الفارسي .
٢١. كمال العرب في علم الأدب .
٢٢. ذيل على (تاريخ دمشق) لابن عساكر .
٢٣. شرح الهادي .
٢٤. عقيدة ابن الحاجب .
٢٥. عيون الأدلة . وهو مختصر المنتهى .
٢٦. معجم الشوخ .

obeikandl.com